

الجمع، او منصوب على الذم، او الاختصاص، ووجه الاتيان به
التصريح بوصف ذمّ لهم والتسجيل عليهم بالظلم.
﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فلا يكون رسولاً فما يصدر
منه ممّا هو خارج عن المجرى الطبيعيّ ليس الاّ سحراً ﴿أَفَتَأْتُونَ
السَّحَرَ﴾ اى تقبلونه وتقبلون عليه ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ انه بشر
لايجوز رسالته وانّ ماياتى به سحر او انتم البصراء الحكماء
لاينبغى ان تغتروا بدعوى يكون برهان بطلانها معها.
﴿قَالَ﴾ لهم اسرّوا القول او اجهروا به فانه لا يخفى على الله
لأنّ رَبِّى يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿ظَرْفٌ لِلْقَوْلِ وَ
ليعلم او حال من القول او من فاعل يعلم.
﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لكلّ مسموع لاسميع سواه ﴿الْعَلِيمُ﴾
بكلّ معلوم لاعليم سواه فيسمع اقوالهم سواء اسرّوا بها او اجهروا،
ويعلم احوالهم وضمائرهم اخفوها ام لم يخفوها.
﴿بَلْ قَالُوا﴾ عطف على اسرّوا (الى آخرها) فانه فى معنى
قالوا ان هذا الاّ بشر مثلكم، وكلامه الذى اتى به سحر، واضراب
عنه الى قولهم الذى هو ابعد من القرآن.
﴿أَضَعْتُ أَحْلَمَ﴾ اى القرآن صور الخيالات التى رآها
المخبّط الذى لا عقل له كالخيالات التى يراها النائم من غير حقيقةٍ
لها.

﴿بَلْ أَفْتَرْتَهُ﴾ اختلقه من عند نفسه ونسبه الى الله تعالى وهذا عطف على قالوا اضغات احلام بتقدير قالوا واضراب فى الحكاية عن القول الا بعد الى الا بعد منه، او عطف على اضغات احلام واضراب فى المحكى وكان من قولهم فحكى الله ذلك لنا وعلى اى الشعر من القائل بخلاف الاختلاق.

﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ اى مموه يظهر ملاحقيقة له بصورة الحق بتمويهه وهذا ابعد فان الشعر لقصد يزد على الاختلاق بكونه قريناً لتصرف فى اظهاره وهذا ايضاً عطف على قالوا بتقدير قالوا او على المحكى.

﴿فَلْيَأْتِنَا بَيِّاتٍ﴾ ان كان صادقاً ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ﴾ بالآيات الظاهرة مثل العصا واليد البيضاء والناقة واحياء الموتى وابرء الاكمه والابرص.

﴿مَا ءَامَنْتُ قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ يعنى باقتراحهم للآيات بقرينة ذكره بعد اقتراحهم الآيات ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ان اتاهم محمد ﷺ بما اقترحوا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ رد لانكارهم كون البشر رسولا كما ان الفقرة الاولى كانت ردّاً لاقتراحهم ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ كما نوحى اليك، قرئ يوحى بالياء وبالنون.

﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قدمضى فى

سورة النحل تفصيل وتفسير لهذه الآية ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً
لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ بل كانوا كلهم معرضاً
للموت غير خالدين في الدنيا، ردّ لقولهم مال هذا الرسول يأكل
الطعام ويمشي في الاسواق؟!

و لاستغرابهم طرؤ المرض والموت على الرسول المشعر به
قولهم هل هذا الاّ بشر مثلكم ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ اى وعدنا
لهم بالنصر فى قولنا انا لننصر رسلنا وبالمن والامامة وايراث ما
فى الارض قولنا: ونريد ان نمّن على الذين استضعفوا (الآية)
وبالاستخلاف فى الارض والتمكين فى الدين وتبديل خوفهم امناً
فى قولنا وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات (الآية) وبالانجاء
من اعدائهم والظفر عليهم وغير ذلك.

﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَ أَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾
الاسراف ضدّ القصد والقصد استعمال الاموال والاعضاء والقوى
والمدارك فيما ينبغى بقدر ماينبغى لاناقصاً منه ولازائداً عليه،
فالاسراف بهذا المعنى اعمّ من التقتير والتبذير.

وقد يستعمل الاسراف فى مقابل التقتير والتبذير فانّ التبذير
صرفها فيما لاينبغى صرفها فيه، والتقتير التقصير فى صرفها فيما
ينبغى او على قدر ماينبغى.

و الاسراف صرفها فيما ينبغى زائداً على قدر ماينبغى؛

والمعنى الاول هو المراد ههنا لان المراد بالاسراف ههنا عدم الانقياد للانبياء عليه السلام والتفتير فى صرف المدارك والقوى فى جهة الانقياد لهم وفيه ترغيب للانقياد للنسبى وتهديد عن المخالفة له ﷺ.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا﴾ بعد ما تمّ التّرجيب والتّخويف خاطب قريشاً او العرب ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ اى صيتكم وشرفكم او سبب ذكركم بين الخلق او سبب تذكركم للآخرة. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ انّ فيه ذكركم او لاتصيرون عقلاء فتصيرون ظالمين ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ الجملة حالّة وكم خبرية او استفهاميّة والقصم الكسر وهو كناية عن الاهلاك سواء اريد من قوله تعالى.

﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ اهل القرية باستعمالها مجازاً فى اهلها، او بتقدير من اهل قرية، او اريد نفس القرية ويكون كسرهما كناية عن هلاك اهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ صفة قرية او جواب للسؤال عن حال القرية، او عن علّة القصم وعلى اى تقدير فهو يفيد التّعليل. ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ﴾ فلَمَّا أَحْسُوا بِأَسْنَاءِ عطف على كم قصمنا من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ اى يهربون ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول كأنّه قيل: فما ينبغى ان يقال لهم؟ - قال تعالى

يقال توبيخاً وتهكماً: لا تهربوا.

﴿وَأَرْجِعُوا إِلَىٰ مَا أَتَرَفْتُمْ فِيهِ﴾ اترفته النعمة اطغته،
واترف فلان على البناء للفاعل اصرّ لى البغى، واترف فلان على
البناء للمفعول ترك ونفسه يصنع ما يشاء، او تنعم لا يمنع من تنعمه،
او تجبر ﴿وَمَسَكِنِكُمْ﴾ وقيل: انّ الملائكة بعد نزول العذاب بهم
من القتل وغيره قالوا ذلك استهزاء.

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ اى يسألكم السائلون من دنياكم كما
كانوا يسألونكم قبل ذلك، او لعلكم تسألون عن نعمكم كيف فعلتم
بها، او تسألون عن نعمكم مالها لاتدفع العذاب عنكم؟

او لعلكم يسألكم الانبياء ﷺ الايمان بهم كما كانوا قبل ذلك
يسألونكم، وعلى اى تقدير فهو للاستهزاء بهم.

﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا﴾ بعد احساس العذاب قالوا ذلك، والويل
الفضيحة او هو كلمة تفجع، او الوقوع فى الهلكة وحلول الشرّ و هو
منادى يجعله كذوى العقول، او المنادى محذوف والتقدير يا قوم
انظروا ويلنا.

﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ استيناف فى مقام التعليل يعنى اعترفوا
بعد معاينة العذاب بظلمهم لانفسهم او لانبيائهم او للخلق بمنعهم
عن الانقياد للانبياء ﷺ او بغير ذلك ولا ينفعهم ذلك بعد معاينة
العذاب.

﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ الدَّعْوَى الَّتِي هِيَ نِدَاءُ الْوَيْلِ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ كالنبت الحصيد ولذلك لم يجمع او شبههم بالزرع الواحد المشتمل على ساقات عديدة فوحد الحصيد ﴿خَمِدِينَ﴾ وصف لحصيداً او مفعول بعد مفعول لكون مفعول جعل خبراً في الاصل كناية عن الاستيصال.

قيل: كانت الآية في اهل قرية من اليمن ارسل الله اليهم نبياً فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فهزموا من ديارهم فردهم الملائكة فقتل صغارهم و كبارهم حتى لم يبق لهم اسم ورسم.

وذكر في اخبار: ان هذه الآية نزلت في ظهور القائم عليه السلام فانه اذا خرج الى بنى امية بالشام و هربوا الى الروم فيقول لهم الروم: لاندخلكم حتى تنتصروا فيعلقون في اعناقهم الصلبان فيدخلونهم فاذا حضر بحضرتهم اصحاب القائم عليه السلام طلبوا الامان و الصلح فيقول اصحاب القائم عليه السلام: لانفعل حتى تدفعوا الينا من قبلكم منا، فيدفعونهم اليهم.

فذلك قوله تعالى: وارجعوا الى ما ترفتم ومساكنكم لعلكم تسألون يسألونهم عن الكنوز وهو اعلم بها فيقولون: يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعويهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ﴾ الى غاية عقلائية وحكم ودقائق متقنة فان اللعب هو الفعل

في خروج القائم عليه السلام على بنى امية

الَّذِي يَكُونُ لَهُ غَايَةٌ لَكِنْ غَايَتُهُ لَمْ تَكُنْ إِلَّا خَيَالِيَّةً كَلْعَبِ الْإِطْفَالِ.

كَمَا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْفَعْلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ غَايَةٌ خَيَالِيَّةٌ ظَاهِرَةٌ
وَالْمَقْصُودُ أَنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ كَثْرَةِ الْحُكْمِ وَالذِّقَاقِ
فِي خَلْقِهَا وَكَثْرَةِ الْمَصَالِحِ الْمُرْتَبَةِ عَلَيْهَا لَا يُمْكِنُ احْصَاءُ غَايَاتِهَا
الْمُتَقَنَّةِ الْمُحْكَمَةِ فَلَيْسَ خَلْقُهَا لَعِبًا بَلْ كَانَتْ لِتَكْمِيلِ النُّفُوسِ وَاتِّمَامِ
فَعْلِيَّاتِهَا حَتَّى تَسْتَحَقَّ الْجِزَاءَ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَا نَتَّخِذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ شَرْطِيَّةٌ
فَرْضِيَّةٌ يَعْنِي لَوْ أَرَدْنَا اتِّخَاذَ اللَّهِ لَا تَتَّخِذَنَاهُ بِطَرِيقٍ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا
بِحَيْثُ لَا يَطَّلَعُ عَلَيْهِ غَيْرُنَا وَ لَمْ نَتَّخِذِ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ الْمَشْهُودَتَيْنِ
لِكُلِّ أَحَدٍ لَهَوًا.

وَفَسَّرَ اللَّهُ بِالزَّوْجِ رَدًّا عَلَى مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسِيًّا
وَصَهْرًا، وَبِالْوَلَدِ رَدًّا عَلَى مَنْ اثْبَتَ لَهُ الْوَلَدَ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا التَّفْسِيرَ
مَا يَأْتِي كَمَا يَأْتِي.

﴿إِنْ كُنَّا فَلَاعِلِينَ﴾ تَأْكِيدٌ لَشَرْطِيَّةِ الْأَوَّلَى وَالْجِزَاءِ مُحْذُوفٍ،
وَقِيلَ: إِنْ نَافِيَةٌ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ يَظُنُّ أَنَّ
الْإِنْسَابَ بِتَوَافُقِ الْمُتَعَاظِفِينَ إِنْ يَقُولُ بَلْ قَذَفْنَا بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ
لَكِنْ نَقُولُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحَقِّ هُوَ الْحَقُّ الْمَخْلُوقُ بِهِ الَّذِي هُوَ الْمَشِيَّةُ
الْمُسَمَّاةُ بِالْوَلَايَةِ الْمَطْلُوقَةِ.

وَالسَّمَاءُ أَعَمُّ مِنْ سَمَاءِ عَالَمِ الطَّبْعِ، وَسَمَاءُ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ،

ونفس عالم الارواح فى العالم الكبير والصَّغير، وهكذا الارض وما بينهما اعمّ ممّا فى الكبير والصَّغير.

وكما انّ المشيئة التى هى اضافة الله الاشراقية حقّ لاشوب باطل فيها كذلك جميع التّعينات والمهيّات باطلة لاشوب حقّ فيها وانّ الله تعالى بمضمون قوله تعالى: بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء على سبيل الاستمرار يطرد باضافته الاشراقية بطلان التّعينات و المهيّات وبطلان القوى والنقائص والاستعدادات ويفنيه وكما أنّه تعالى يطرد بخلقه سماوات الارواح وارضى الاشباح بطلان المهيّات بقذف الحقّ عليها ابتداءً كذلك يطرد ذلك عنها استمراراً فانّها من انفسها فى فناءٍ لابقاء لوجودها آئين، و من موجدتها فى بقاءٍ بسبب تجددّ اضافات الوجود عليها.

و كما يطرد بخلقتها البطلان ابتداءً واستمراراً عن المهيّات يطرد بخلقتها البطلان و النقائص عن القوى و الاستعدادات التى تكون فى عالم الاكوان، وللإشارة الى أنّه تعالى يطرد البطلان عن المهيّات والاستعدادات استمراراً اتى بالمتعاطفين متخالفين.

و لفظ القذف اشعار بانّه تعالى لقوّه قدرته لامانع يمانعه عن اىصال الحقّ ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ دمه كمنع ونصر شجّه حتّى بلغت الشجّة الدماغ فهلك.

﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ مضمحلّ ﴿وَلَكُمْ أَلْوِيلٌ﴾ ممّا تصفون.

الله به او من وصفكم الله باللعب في فعالة من دون ترتب غاياتٍ محكمة عليها، وبالصاحبة والولد ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعنى انه تعالى خالقهم و مالكمهم و غايتهم فكيف يكونون شركاءه او صاحباته او ولده و هو حال فى موضع التعليل ومؤيد كون المراد اللّهونفى الولد و الصاحبة.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ يعنى الملائكة المقربين الذين لهم مقام العندية بالنسبة اليه تعالى، وهو عطف على من فى السماوات عطف المفرد او مبتدئ خبره قوله.

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ وعلى الاول يكون لا يستكبرون حالاً عن من فى السماوات ومعطوفه، او حالاً عن من عنده فقط والمراد بمن عنده هم المقربون المجردون عن السماوات والارض الطبيعتين، وتأدية مافى السماوات والارض عن التى هى لذوى العقول من باب التغليب، او لانه يستفاد كون غيرهم له بطريق اولى والمعنى لا يستكبرون عن عبادته فكيف يكونون معبودين كما قال بعض او بنات له تعالى او بنين.

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ حسر كضرب وفرح اعياء كاستحسر، وكنصر وضرب كشف وانكشف ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ ينزهون الله عن النقائص بلسان حالهم وقالهم وبفطرة وجودهم ولعدم جامعية الملائكة اقتصر على التسبيح ولم يذكر الحمد لهم.

فى عدم تحسر الذين لا يستكبرون عن عبادة الله

﴿الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ اى فى اللّيل والنّهار يعنى دائماً فانّ
غذاءهم التّسبيح، وعالم الملائكة المقربّين مشتمل على ليلٍ ونهارٍ
لاّ ثقيّن به وان كان مجرّداً عن اللّيل والنّهار المحسوسين.

فانّ الملائكة المقربّين بجهاتهم الوجوبيّة و جهاتهم
الامكانيّة وبوجوداتهم وتعيّناتهم نهار و ليل، ويسبّحون الله بجميع
جهاتهم وجميع مراتبهم ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾ لا يضعفون عن التّسبيح فانّ
التّسبيح كما قيل جعل لهم كالانفاس لنا.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ﴾ يعنى هذه حال من فى
السّماء من أنّهم لا يدعون الالهة لانفسهم ولا ينبغى لهم لانّهم عباد
اذلاء تحت قدرة الله بل هؤلاء المشركون اتّخذوا آلهةً من الارض
يصحّ لهم الالهة يدعون الالهة.

﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ يعنى يفعلون فعل الالهة، والاتيان بالضّمير
المتقدّم للاشارة الى الحصر الاضافى بالنسبة الى من فى السّماء،
والنّشر بمعنى الحيوة والاحياء، والانشار الاحياء و قرئ ينشرون
بفتح الياء و ضمّها.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ اى فى السّماء كما يقول من يقول بآلهة
الملائكة والكواكب، والارض كما يقول من يقول بآلهة الاصنام
والعجل وبعض الاناسيّ وابليس، وكما يقول الثنويّة.
﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ ليست الاّ استثنائيّة لعدم صحّة الاستثناء

لفظاً ومعنى لعدم شمول الالهة لكونه جمعاً منكراً فى الایجاب، وللزوم جواز صحة تعدد الالهة مع الله بحسب مفهوم مخالفة الاستثناء.

﴿لَفَسَدَتَا﴾ لكون الالهة حينئذ تامى القدرة والا لم يكونوا الهة واقتضاء تمامية القدرة صحة تدافع كل وتمانعه عن مراد الآخر، فان قيل ان مرادهما يكون قريباً للحكمة فيكون مراد كل مراداً للآخر فلا يكون تدافع.

يقال: الاستدلال بصحة التدافع لا بوقوعه، وصحة التدافع مستلزمة لصحة الفساد فيهما، وهذا هو استدلال المتكلمين وبيانهم للآية وهو كما ترى.

والتحقيق فى بيان الآية ان يقال: انها اشارة الى برهان تام يسمى برهان الصديقين وطريقهم وهو برهان الفرجة الذى اشار اليه الصادق عليه السلام من لزوم الفرجة واستلزم فرض الهين آلهة ثلاثة واستلزام الثلاثة خمسة وهكذا فانه لو فرض الهين فاما ان يكونا قديمين قويين او حادثين ضعيفين.

او يكون احدهما قديماً قوياً والآخر حادثاً ضعيفاً، والاخيران خلاف الفرض ومثبتان للتوحيد، وان كانا قديمين واجبين والوجوب من صفات الوجود، والوجود كما سبق فى اول الكتاب متأصل فى التحقق، وتحقق كل متحقق يكون بتحقيقه.